(معالم الطغيان)

الحمد لله رب العالمين يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ونشهد أن لا إله أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له نصير المظلومين ، وقاهر الطغاة والظالمين ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله إمام العادلين والمتقين وسيد الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين

أما بعد فيقول الله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ۞ إرم ذات العماد.....) **الفجرمن : 14:6**

معشر المسلمين : الطغيان هو تجاوز الحد فى كل شئ ، ومآله جهنم وبئس المصير قال تعالى : (فأما من طغي وآثرالحياة الدنيا...) **النازعات آيات : 39:37** ، وهو آفة من الآفات التي تنزل بالأقوام والشعوب فتدمر كيانها وتهلك أهلها وتأتي على الأخضر واليابس فيها ، وحين يزداد الطغيان بين الناس ثم يركن الناس إلى الطغاة ويستكينوا لمظالمهم وطغيانهم ينعكس ذلك عليهم ولعل ما حدث فى عالمنا العربي منذ قرون خير شاهد على مانقول ، فمن رضي بظلم الحاكم عمّه الله بالعذاب ، وحاسبه على ذلك محاسبته للطغاة أنفسهم ، ولم لا ؟ فقد وجه الله الخطاب لرسوله وللمؤمنين فقال : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) **هود : 113:112**

ولقد ساق الله لنا بعض أمثلة الطغاة فى القرآن الكريم : كعاد ، وثمود ، وفرعون ذى الأوتاد .

ولقد كان فرعون مثلاً صارخًا للطاغية المتجبر، وكان قومه صورة للأقوام التي خضعت وتابعت الطاغية ، ووصل الأمر بفرعون إلى ادعاء الألوهية والاستخفاف بعقول الناس والإعراض عن كل الآيات التي جاءته من الله حتى أهلكه الله وقومه .

ووردت قصة فرعون في سبع وعشرين سورة فضلاً عن الإشارة إليها في ثنايا بعض السور الأخرى ، وعرضتها الآيات مفصلة ومقتضبة ، وعرضت صورًا لطغيان فرعون وضلالاته وبغيه وكفره .

وأمرُ فرعون مَثَلٌ لكلّ طاغية يتجاوز الحدّ في الظلم والتجبّر والاستبداد والمعصية والاستخفاف بعقول الناس وإرادتهم ومصالحهم ، وكلما أنس منهم السكوت على ظلمه والخضوع لبغيه وعدوانه ازداد صلفًا وتجبرًا وتمردًا ، حتى يصل إلى التألُّه وادعاء الإرادة المطلقة ، وللأمثال نصيب لذلك فمنها مايقال : **(يافرعون مين فرعنك ؟ قال : مالقيتش حد يردنى)**

لقد أراد الله لفرعون أن يكون درسًا بليغًا للطغاة ، فأبقى بدنه ليكون لمن خلفه آية وعبرة ، وعدَّد الأساليب في عرض قصته ، وسنَّ رسول الله ﷺ صيام اليوم الذي أهلك فيه فرعون ، ونجّى موسى عليه السلام لتغتبط الأمة بنجاة المؤمنين وتتشفّى بهلاك الكافرين ، ولكي تتذكّر الأمم المستضعَفَة في كلّ زمان أن مصير الطغاة واحد ، وأن عاقبتهم مخزية ، وأن الله يمهل لهم وقتًا ثم يأخذهم أخذًا ويصرعهم صرعًا ، ليكون حال هلاكهم مناقضًا لحال حياتهم ، إنها نهاية شافية كافية

للمستضعفين يوم أن يلقي الله فرعونَ جثةً هامدة على شاطئ البحر مع أوساخه ونفاياته ، وقد امتلأ بطنه من نفاياته ، وانسدّ فمه من وحله ، بعد أن كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء ، بعد أن كان يقول : أنا ربكم الأعلى ، بعد أن كان يقول : (...ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) **غافر : 26 .**

أيّها المسلمون : إن الطغيان ليس قصة ماضية ولكنه حقيقة باقية ، والوقوف عند قصص طغاة الأمس يعطي معالم لطغيان اليوم ويفيد في دراسة الصور المشابهة في كلّ زمان ومكان مهما اختلفت الألوان وتغيرت العناوين والشعارات .

وذلك لأن الله جل وعلا لم يقصَّ على عباده المؤمنين إلا لكي يتّعظوا ويعتبروا ويتدبّروا أمرهم فلا يقعوا فيما وقع فيه الأقوام ، وحتى لا ينالهم من الله العذاب قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ **طه 99.**

ويقول : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ يوسف :

أيها المسلمون : ومن خلال استعراض الآيات القرآنية ، تتضح معالم المنهج الفرعوني في الطغيان وهي كثيرة ومتعددة من أهمها :

أنه يحكم بغير ما أنزل الله عز وجل ويجعلُ من نفسه معبودًا من دون الله عز وجل يتحكم في الناس ، ويأمرهم أن يطيعوه ، ويشرع لهم ما يراه متّفقًا مع أهوائه ومصلحته ، وأنه يريد لهم الصلاح وغيره يريد الفساد قال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ **غافر: 26** ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ القصص 38 ، فمن حكم بغير ماأنزل الله مستخفا بكتاب الله ، ومعتقدا عدم الصلاحية فيه فهو كافر ، أو ظالم ، أو فاسق ، كما في آيات **سورة المائدة : 47 ، 45 ، 44** ولم لايحكم البشر بماأنزل الله ؟ والبشر خلقه ، والأرض أرضه ، وهو يعلم مايصلحهم قال تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) **البقرة : 179.**

فرعون الطاغية أتى إلى قومه بصورة الناصح المشفق عليهم : إنها الطريقة التي سارعليها الطغاة من بعده حتى اليوم ، ومن أبرز معالم الطاغية أنه يفتخِر بما يملك من مال أو قوة أو مُلك أو تقدُّم مادي ولذلك افتخر فرعون بأنه يملك الأرض الخضراء ولديه الماء والأنهاروالسلطان قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف51 ، وعندما أراد أن يقنع قومه بأنه المعبود لهم من دون الله وأنّ دعوة موسى عليه السلام لا تنفعهم ولا تفيدهم استخدم هذا الأمر الذي يملك أفئدتهم ويسدّ عليهم طريق الهدى فقال : ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ **الزخرف 53 .**

ومن معالم الطغاة كذلك أنهم ينكرون الغيبيات ويعادونها ، لأن ذلك يتعارض مع ما يريدون قال تعالى :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يأَيُّهَا ٱلْملأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لاظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ **القصص38** .

يخاف الطغاة من إيمان الناس بالغيب ، لأنه يحرّرهم من أسر العبودية لجبروت الظالمين ، ويفسحُ أمامهم النظر في ملكوت الله عز وجل ، فيعرفون أن هناك مالِكًا قديرًا ، وأن هؤلاء الطغاة بشر مخلوقون مثلهم انحرفوا عن شرع الله وتجبروا وظلموا ، وسيكون مصيرهم مصير الفراعنة قال قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوٰلُهُمْ وَلاَ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِأَيَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ **آل عمران 12:11** .

ومن معالم الطغاة كذلك السخرية بالصالحين ، ومعاداة الدعاة إلى الله ، ورميهم بشتى التهم والأباطيل بغير دليل لأن المتجبر لايصغي لغير نفسه ، وربما يكون الدافع لذلك هو الحقد والحسد أو لتحصيل المال بأي طريق كما يقال : يصطاد فى الماء العكر، أو فرق تسد ، وطغاة اليوم في هذا كطغاة الأمس لايرون السداد إلا فى قولهم ورأيهم ، وما قالوه هو الصحيح قال تعالى عن فرعون : ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ **غافر 29** .

أيها المسلمون : ومن معالم الطغاة كذلك أنهم يلجؤون إلى التحريض بالمعارضين ، والبطش بالدعاة إلى الله ، ولا يمنعهم شيء من ارتكاب كلّ جريمة مهما بدت منافية للخلق والمنطق قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۞فَلَمَّا جَاءهُمْ بِٱلْحَقّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُواْ أَبْنَاء ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ مَعَهُ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ﴾ **غافر 23، 25** .

أيها المسلمون : ولكل طاغية أعوان ، منهم من يعين بالرأي للتضليل والإفساد وتزيين الباطل للناس وإنفاذ رغبات الطاغية مثل هامان ، ومنهم من يعين بالمال كقارون قال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَـٰطِئِينَ﴾ **القصص:8** ، ومع هذا الوزير الطاغية أيضًا حشدٌ من الجنود والأعوان والأتباع التي تنكّل بالناس وترصد حركاتهم وتبطش بهم وتتعالى على الناس بما لديها من قوة وسلاح وسلطان ، قال تعالى : ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى ٱلأرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَيُرْجَعُونَ﴾ **القصص:39** ، وهكذا طغاة اليوم ، ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد للطاغية وأعوانه ولكل من يشايعه ويخضع له قال تعالى : ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لاَ يُنصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ هُمْ مّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾

نعم معشر المسلمين : إن أصناف الطغيان كثيرة وأنواعَ الطغاة متعددة ، فإذا كان بالأمس فرعون ففي الحياة اليوم كثير من أصناف الفراعنة ، وعلى كلّ فما عُرف من طغيان فرعون فقد كان في تصرفه هذا أقلَّ طغيانًا من طواغيتَ كثيرةٍ في هذا القرن والذى سبقه الذين كانوا وما زالوا في مواجهة العالم الإسلامي ومواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية ربّ العالمين وتهديد لسلطان الباطل بهذه الدعوة الخطيرة. فهل يستيقظ الناس وهم يعيشون محنة من أقسى ما عرف العالم الإسلامي

من المحن ، ويمرون في ثنايا فتنة كبيرة نسأل الله عز وجل أن يجعلها نصرًا للحق والإسلام والمسلمين؟! وكل ذلك بفعل الطغيان وتصرفات الطغاة.
نسأل الله أن يقصم ظهور طغاة اليوم كما قصم ظهور أسلافهم ، وأن يشفي صدور المسلمين منهم كما شفى صدور المؤمنين بنهاية فرعون البئيسة ، آمين .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم